# دراسة في أدب فيرجينيا وولف

بقلم امين الأمير

**« ليست الحياة سلسلة من المناظر متسقة الترتيب ، انما الحيـــاة هالة منيرة ، غلاف نصف شفـــاف يكتنفهـــا مـــن بداية الوجدان الـــى نهايتـــه » .**
**ف. و.**

ولدت فيرجينيا وولف في لندن عام ١٨٨٢ ، وهي ابنة الناقد والفيلسوف الكبير « ليزلي ستيفن » الـــذي كان يحتل مكانا مرموقا بين ادباء العصر الفيكتوري . وقد هجر ستيفن دراسته بجامعة « كمبردج » واستقر فـــي لندن حيث اشتغل بالصحافة والنقد كما عمل مؤرخـــا لسير المشاهير من الادباء ، فنشأ أولاده في جو من الثقافة كان له اكبر الاثر في اعداد كاتبة مثل فيرجينيا وولف . ولم تتلق فيرجينيا وولف تعليما منتظما في مدرســـة أو جامعة ما ، بل كانت مكتبة والدها النفيسة هي جامعتها الوحيدة ، فنهلت من المؤلفات الانكليزية والكلاسيكيـــة حتى شبت وهـــي تعتبر الثقافـــة ضرورة من ضرورات الحياة . وقد انعكس ذلك ايضا في أدبها اذ ان رواياتها تعج بشخصيات ذوي ثقافة واسعة وذكاء غير عادي .

ولما كان ليزلي ستيفن يعيش هو وأسرته بين المدينة والريف ، بين لندن وكورنوول حيث كانوا يقضون شهور الصيف ، فقد ظهر اثر ذلك في روايات فيرجينيا فيمـــا بعد ، واصبح مسرح الاحداث في قصصها موزعا بيـــن المدينة والريف او في بقعة منعزلة على شاطىء البحر . فرواية « غرفة يعقوب » مثلا تبدأ في كورنوول وتنتهي في لندن ، و « مسز دالووي » تجري حوادثها في لنـــدن بينما في رواية « الرحلة الى الفنار » تتحرك الشخصيات في منزل على الشاطىء الغربي من اسكتلندا . هذه المقابلة بين المدينة وشاطىء البحر ان دلت على شيء فانما تدل على الحس المرهف الذي كانت تتمتع به فيرجينيا وولف فهي تتأمل احداث الحياة الواقعية ببصيرة نافذة حتـــى انه يمكن القول بأن الالهام الفريد الذي تميزت به فيرجينيا وولف لم يكن سوى وليد هذا المزيج بين متناقضين .

وفي حياة فيرجينيا وولف عامل آخر ساعد عـــلى تحديد معالم شخصيتها الادبيـــة ، ذلك ان اباها ليزلـــي ستيفن كان قد تخلى عن عقيدته الدينية في سن مبكـــرة واعتنق مذهب « اللاادرية » وتمسك به طـــوال حياته ، فكان لذلك شأنه في حياة فيرجينيا وفنها ، فهي كمـــا يراها النقاد الان كاتبة اخلاقية متزنة تؤمن بأن مهمتهـــا في الحياة هي ان تبحث عن الحقيقة ، دون ان تكون مـــن الملحدين او الشكاك . وبعد موت ليزلي ستيفن في عـــام ١٩٠٤ انتقلت فيرجينيا مع اختها « فانيسا » واثنين من اخوتها الى منزل بضاحيـــة « باومزبيري » حيث بدأت ف. و. اولى تجاربها الادبية . ولا يستطيع المرء هنا ان يتجاهل بعض العوامل التي وان بدت ثانوية فقد كان لها فضل كبير في تفرغ فيرجينيا لمحاولاتها الادبية وتنميـــة ثقافتها ، منها ان عائلة ستيفن كانت على قـــدر من الثراء والثقافة مما منح كاتبتنا شعـــورا بالحرية والاستقرار وشجعها على المضي في كتاباتها . كما كان بيت فيرجينيا واخوتها في « بلومزبيري » هو المهد الذي ترعرعت فيـــه « جماعة بلومزبيري » الشهيرة والتي كان يرتادها الكتاب والفنانون في ذلك الوقت امثـــال « لويس ديكنسون » و أ. م. فورستر ، ت. س. اليوت ، ستيفن سبنـــدر ، اليزابث بوين وغيرهم . وكان باكورة انتاج فيرجينيـــا وولف الادبي عبارة عن مقالات في النقـــد ، وقد أفادت كثيرا من هذه المحاولات اذ كونت عن طريقها فكرتهـــا الاولى عن كتابتها القصصية .

ولم تكن ف. و. أقل حظا في زواجها ، فقد تزوجت من ليونارد وولف في عام ١٩١٢ وكان وقتذاك صحفيـــا ومفكرا سياسيا وكاتب مقال . وقد شجع ليونارد زوجته منذ البداية على المضي في طريق الادب حين أدرك قيمـــة الموهبة الخلاقة التي كانت تتمتع بها . وعلى ذلك فقـــد بدأت نشاطها الادبي كناقـــدة للكتب في الملحق الادبـــي لجريدة « التايمز » ( وداومت على ذلك حتى موتهـــا ) ، كما كانت تنشر بين الحين والحين بعض المقالات النقدية في المجلات الانكليزية والاميركية ــ هذا الى جانب سعة اطلاعها وكثرة اسفارها وجو الانتعاش الفكري الـــذي كانت تعيش فيه .

***

استهلت ف. و. اولى محاولاتها الروائية في عام ١٩١٥ بنشر قصة « الرحلة البحرية » بعد سبع سنوات من العمل والدراسة . والقصة وان كانت تتفق مع تقاليد الكتابة القصصية التي اورثها القرن التاسع عشر للقـــرن العشرين من حيث البناء الفني والاحداث ، الا انها تفصح عن محاولة الكاتبة البحث عن وسيلة أقدر من الوسائـــل التقليدية على نقل التجربة الفنية ، فهناك حبكة روائيـــة في القصة ، وهناك شخصيات حية تشترك مع بعضهـــا في علاقات متداخلة تؤدي الى تعقيدات ثم حلول لهـــذه التعقيدات ومن خـــلال ذلك تقدم لنا الكاتبة تحليـــلا لشخصيات القصة ، بيد اننا لو أمعنا النظر في طبيعـــة الحبكة الروائية وكيفية التجربة التي تصفها الكاتبـــة لوجدنا ان المعنى الكلي يختلف تماما عن مثيله في غيـــره من الاعمال الادبية .

والقصة تدور حول فتاة حديثة السن لا خبرة لها بالحياة هي « راشيل فينراس » تقوم برحلة بحرية مـــع ابيها لزيارة عمتها التي تسكن منـــزلا يقوم على جزيـــرة صغيرة منعزلة ثم كيف تحظى هذه الفتاة بقدر من المعرفة عن الحياة وعن العلاقة بين الجنسين بصفة خاصة ثم تحب رجلا وفي النهاية تموت نتيجة الحمى الاستوائية . ويتضح من معالجة الكاتبة لهذه القصة انها على شيء من التردد وعدم الاستقرار مما يشير الى انها لم تكن قد اهتـــدت

بعد الى الوسيلة المناسبة لنقل التجربة التي تعتمل في نفوس شخصيات القصة . ففصول القصة مليئة بالوصف والاحداث الثانوية التي تشير الى ان الكاتبة لا تدري على وجه التحديد ما تريده من شخصياتها فهي احيانا تبرز بعض الشخصيات الثانوية الى دائرة الضوء ثم تخفيها او تغير من ابعادها دونما هدف محدد ومن هنا يتضح ان الكاتبة لا تهتم بالحبكة الروائية بمعناها المألوف بل ينصب كل اهتمامها على استجلاء كوامن موقف بالذات او على تأمل شخصية معينة . على اننا اذا قلنا ان ف. و. تركز اهتمامها في نقل ومضات من الشعور الانساني فليس معنى هذا اننا نبعدها عن التراث الروائي الانكليزي . والواقع ان الكاتب في الرواية التقليدية يعبر عما يريد من خلال تنظيم سلسلة من الاحداث في اطار زمني معين فتصبح القصة هي « ما يحدث فعلا » . على ان التسلسل الزمني في رواية ف. و. موجود بمحض الصدفة ومع ان شخصية راشيل فينراس تتطور من الجهل بأمور الحياة الى الخبرة ثم الى الموت فان القارىء يشعر بأن المعنى الذي تنقله اليه القصة لا ينبع مباشرة من هذا التطور .

وعلى الرغم من هذا فقد أضافت فرجينيا وولف شيئا جديدا للقصة الانكليزية يمكن ان نسميه بالحساسية الفنية وهي قدرة الكاتبة على أن تستشف من وراء سلوك الفرد العادي دلالات عميقة ، وكأنما تريد ان تقول لنا ان الحياة تستجيب لتفكير المتأمل ما دام هذا التفكير يتم بطريقة واعية .

***

ظهرت رواية فيرجينيا وولف الثانية « ليل ونهار » في عام ١٩١٩ ، وهي تروي قصة فتاة من الطبقة المتوسطة اسمها كاثرين هيلبري حفيدة احد كبار الشعراء الذي ما زالت ذكراه تسيطر على حياة افراد الاسرة وكيف تتحول هذه الفتاة من هجر حبيبها الاول الى حب رجل اخر وينتهي الامر بزواجها منه ، وتصور الكاتبة بطلة قصتها كفتاة حساسة على درجة كبيرة من الثقافة وحب التأمل الامر الذي يثير في نفوس المحيطين بها نوعا من الاحترام والتقدير . ويذكرنا وضع كاثرين هيلبري في القصة وتجاوبها مع الوسط الاجتماعي من حولها ببطلات قصص « جين أوستن » مثل « ايما » او « اليزابيث بينيت » مثلا . بيد ان عنصر الكوميديا الاجتماعية الذي يبدو وكأنه يعطي القصة شكلها الفني ليس في الواقع هو جوهر القصة فهي تتعدى ذلك الى محاولة أعمق لتصوير جوانب السلوك النفسي للشخصيات .

اما الحبكة الفنية في القصة ، فان بدت وكأنها قد خرجت لتوها من بين يدي جين اوستن فان معالجة القصة نفسها تخلق منها شيئا يختلف تمام الاختلاف عما يمكن لجين اوستن ان تتصوره . ولهذا فقصة « ليل ونهار » ليست كوميديا اجتماعية من النوع الذي برعت فيه جين اوستن بل اطارا تتحرك فيه الشخصيات بدافع بحثها عن الحقيقة ولا تهتم ف. و. بالتجارب والاحداث التي تمر بها شخصيات القصة قدر ما تهتم بالحالات النفسية او الوجدانية التي تثيرها تلك الاحداث في النفوس وهي تهتم بصفة خاصة بتلك الحالات الوجدانية التي تمتزج فيها الافكار بالمشاعر والذكريات فقد كانت فرجينيا وولف تعتقد اثناء هذه المرحلة من مراحل تطورها الفني انه كلما كانت الشخصية اكثر ذكاء ، ساعدها ذلك على الافصاح عن مثل هذه الحالات الوجدانية . ولكنها عدلت عن هذا الرأي فيما بعد ، فنجد ان شخصية « مسز دالووي » في روايتها المعروفة بهذا الاسم ليست في مثل ذكاء كاثرين هيلبري ومع ذلك فهي أكثر حساسية وتجاوبا مع الاحداث .

وفي نفس الوقت الذي نشرت فيه روايتها الثانية « ليل ونهار » بدأت تحس بأن الاسس الفنية لكتابة الرواية كما درج عليها القدماء لم تعد الوسيلة المثالية لنقل التجربة او للتعبير عن الواقع النفسي للشخصية . فهي تعتقد أن مهمة الفنان هي ان يعبر عن احساسه الخاص بالواقع او عن رؤياه الذاتية لماهية الحياة ، وعلى هذا فهي ترى ان استقصاء الواقع ليس مسألة احداث خارجية في قالب درامي ، ولذلك فهي تقول في مقالها عن « الادب الحديث » :

**« فلنمعن النظر في عقل انسان عادي في يوم عادي . أن العقل يستقبل عددا لا يحصى من الانطباعات منها التافه والخيالي وما هو سريع الزوال ومنها ما يبقى في العقل كأنما نقش عليه بنصل من الصلب . وهي تأتي من كل صوب كسيل متدفق من آلاف الذرات وتتشكل لتصنع يوم الاثنين او الثلاثاء في حياة انسان ما »**

وتمضي في مقالها الى ان تقول : **« ان الحياة هالة منيرة او غلاف نصف شفاف يكتنفها من بداية الوجدان الى نهايته »** . ثم تتساءل الكاتبة :

**« أفليست مهمة الروائي اذن ان ينقل هذه الروح المتنوعة الغامضة التي لا تحد بكل ما فيها من شذوذ وتعقيد دون ان يخلط بها اي شيء خارجي ما أمكنه ذلك؟ »**

وهكذا ترى فرجينيا وولف ان البحث عن الحقيقة ما هو الا نشاط نفسي يكمن في دخيلة البشر ولكنهم لا يحسون به حيث انه يقبع في اعماق قلوبهم .

ويشير مقالها هذا الى حقيقة اخرى هي ان الكاتبة قد انضمت الى صفوف المتمردين على القواعد المتفق عليها في كتابة الرواية : فهي تحاول ان تقترب من « الحياة او الروح ، من الحقيقة او الواقع » اكثر مما تسمح هذه القواعد ولذلك فهي ترى في « جيمس جويس » ( الذي كان وقتذاك قد بدأ في نشر اجزاء روايته الشهيرة « يوليوس » في مجلة « لتل ريفيو » ) كاتبا فريدا اذ استطاع ان يقترب من الحياة اكثر من غيره متجاهلا معظم القواعد التي يتبعها الكتاب عامة . وتقول مسز وولف في هذا الصدد **« فلنسجل تلك الذرات التي تتساقط على العقل بنفس نظام تساقطها ، ولنتتبع الصورة التي تطبعها كل حادثة او منظر على الوجدان مهما بدت مبتورة او متقطعة . ليس علينا ان نقبل فكرة وجود الحياة على اعتبار انها قضية مسلمة »** . فهي تهدف الى تصوير واقعية اعمق ، فالواقع بالنسبة لها شيء معنوي اكثر منه مادي فهو لا يكمن في الاحداث الموضوعية التي تدور فيها الشخصيات بل في اطار وجداني لا يعتمد كثيرا على التسلسل الزمني للوقائع الخارجية . ولهذا نجد ان الكاتبة تستخدم المشاهد في رواية « ليل ونهار » لتحطم الحواجز بين الافكار والاحداث ، بين الوقائع والمشاعر والتأملات والذكريات حتى تستطيع ان تقدم لنا **« الغلاف نصف الشفاف الذي يكتنفنا من بداية الوجدان الى نهايته »** . صحيح اننا اثناء قراءة القصة قد نعثر على اجزاء شديدة الشبه بروايات جين لأوستن الا اننا ندرك على الفور ان مثل هذه الاجزاء لا تمثل المغزى الحقيقي للقصة ، لان ما يمكن

أن نسميه بعنصر الكوميديا الاجتماعية فيها ليس الا اطارا تنسج حوله الكاتبة مضمون الحياة او « الهالة المنيرة » . وثمة حقيقة اخرى تبرزها هذه الرواية الا وهي ان مسز وولف لم تكن قد عثرت بعد على الاسلوب الفني الذي تستطيع به ان تكتب رواية تجمع فيها بين الهالة المنيرة والاحداث الفعلية او بمعنى اخر لم تكن قد اتقنت الحبكة الروائية التي تستطيع بها ان تحل على المستوى النفسي الصراع الذي تخلقه على المستوى المادي.

***

بدأت فرجينيا وولف مرحلة جديدة من مراحل تطورها الادبي بمواجهة مشكلة برزت اثناء كتابتها لروايتي « الرحلة البحرية » و « ليل ونهار » وهي الاهتداء الى اسلوب فني او وسيلة تستطيع من خلالها ان تحقق توازنا بين سرد الاحداث والتعبير عن الواقع النفسي للشخصية فقادها ذلك الى التحول عن كتابة الروايات الطويلة الى بعض التجارب الادبية . ولم يكن الكتاب الذي نشرته بعد ذلك تحت عنوان « الاثنين أم الثلاثاء » سوى سجلا لهذه التجارب . ويضم الكتاب ثمان صور نثرية كتبت بين عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ وتظهر فيه مسز وولف وهي تجرب مختلف اساليب الكتابة القصصية . وعلى الرغم من ان هذه الكتابات ليست اعمالا كاملة فانها تحتل مكانا بارزا في تطور التكنيك الروائي عندها وقد استخدمت الكاتبة هذه الاساليب في كل اعمالها فيما بعد.

وانتهت من تجاربها الادبية واصبحت على استعداد تام لان تبدأ في كتابة سلسلة من الروايات الطويلة تستخدم فيها التكنيك الذي اتقنته اذ كانت قد توصلت الى اسلوب انطباعي مرن تستطيع به ان تعبر عن تيار التجربة . وكان السؤال الثاني هو كيف تستطيع ان تستخدم هذا الاسلوب في كتابة الرواية . وقد اجابت على هذا السؤال بنشر قصتها التالية « غرفة يعقوب » حيث يتضح اسلوبها المدروس للتعبير عن مختلف المواقف في القصة . وهي لا تلتزم حدود السياق الزمني للاحداث ، فالتجربة تتفتت بين يديها لتكون سلسلة متلاحقة من الانطباعات . والقصة تقوم على وصف لحياة شخص يدعى يعقوب فتصور طفولته ثم حياته كطالب بجامعة كمبردج ثم استقراره في لندن وغرامياته وزيارته لفرنسا واليونان وتنتهي بموته في الحرب ( ولو ان الكاتبة لا تقول ذلك بطريقة مباشرة ) تاركا صورته في نفوس اقاربه . ولا يعنينا هنا ان ندرس الحبكة القصصية في هذه الرواية ، فقد كتبت هذه الرواية لتصور مجموعة من الانطباعات والتجارب التي يمر بها بطل القصة مما لا يجعلها تهتم بالحبكة الروائية قدر اهتمامها بتسجيل مجرى هذه الانطباعات والتجارب .

لعل قصة « مسز دالووي » التي ظهرت في عام ١٩٢٥ هي اول رواية ناجحة تكتبها فرجينيا وولف . ففي روايتها الاولى رأت ان الحبكة التقليدية ليست بالوسيلة التي تساعدها على ان تغوص في اعماق تجربة الفرد الذاتية . أما في رواية « مسز دالووي » فهي تبذل محاولة ناجحة للكشف عن جوانب هذه التجربة . والكاتبة هنا تقدم لنا مسز دالووي ـ الشخصية الرئيسية في القصة ـ وقد خرجت لشراء بعض الحاجيات استعدادا لحفل تقيمه في المساء . وتنتهي القصة بوصف لهذا الحفل . ولكن قبل ان نصل لنهاية القصة تكون الكاتبة قد صورت لنا وصفا شاملا لحياة مسز دالووي ، ماضيها وحاضرها ونمو شخصيتها ، وكذلك الاشخاص الذين تربطهم بها معرفة اما حين تقابلهم اثناء تجوالها واما حين تفكر فيهم او يفكرون هم فيها .

على انما قد يبدو للوهلة الاولى كصورة لقطاع من الحياة في مدينة لندن صباح يوم من ايام الصيف تتحول بعد الدراسة الى نموذج قد لتجربة متناسقة الاجزاء . وجدير بنا ان نلاحظ الطريقة التي تطور بها الكاتبة احداث القصة فهي تقدم لنا ما يعرف الآن باسم « تيار الشعور » وهو شيء اشبه ما يكون بحلم اليقظة عند شخصية ما . ان فيرجينيا وولف تريد ان تشكل صورة لمحاولة الفرد الوصول الى الحقيقة الداخلية ، ولما كانت تؤمن بان هذه الحقيقة غير قابلة للتعبير عنها ، فقد خلصت الى انها لا تستطيع ان تصف هذه المحاولة من جانب الفرد الا على مستوى عقلي لا يصل الى مرحلة التعبير اللفظي. وتيار الشعور عند شخصيات « مسز دالووي » هو مزيج من التأمل في الماضي والنظر الى المستقبل ( النظر الى المستقبل يعتمد على تأمل الماضي بينما الحاضر يمثل همزة الوصل بين المرحلتين ) وبهذا تستطيع فرجينيا وولف ان تكشف عن ماضي الشخصية . ففي بداية القصة مثلا تقدم لنا الكاتبة مسز دالووي ثم تنقلنا في الحال الى الماضي عن طريق مجرى الافكار داخل عقل الشخصية. وتستخدم الكاتبة ايضا عنصري الوقت والمكان بالتتالي لتنقل القصة من موقف الى آخر فهي تقدم لنا شخصية ما فنظل نتابع ما يجري داخل عقل هذه الشخصية وهي تستعيد الماضي او ترسم المستقبل ثم تنقلنا الى داخل عقل شخصية اخرى وهكذا . وتستمر الكاتبة في استخدام هاتين الطريقتين على التوالي بينما القارىء يتحرك داخل مجرى شعور الشخصية دون ان يتقيد بالسياق الزمني . ان فرجينيا وولف لا تحاول ان تنقل لنا تيار الشعور بطريقة مباشرة كما يفعل جيمس جويس، بل انها تسيطر تماما على تطور هذا التيار وتذكرنا بين الحين والحين بالشخصية التي تصفها .

وقد وصلت فيرجينيا وولف الى قمة فنها في رواية « الى الفنار » التي ظهرت بعد عامين من ظهور رواية « مسز دالووي » وهي في هذه الرواية تختار مجموعة من الشخصيات تعيش في منزل يطل على البحر ثم تصف الجو المحيط بهم وتصهر كل عناصر القصة لتحولها الى « الهالة المنيرة » او الرمز الذي يعادل الحياة .

والقصة هنا غاية في البساطة فالكاتبة تقسم القصة الى ثلاثة اجزاء « النافذة » ، وهو الجزء الاول ، تصور فيه حياة مستر « رامزي » وزوجته واولادهما وبعض ضيوفهم خلال يوم من ايام الاجازة التي يقضونها في منزل على جزيرة منعزلة ، والوقت هو سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى . وفي الجزء الثاني « الوقت يمر » ترسم فيه صورة الخراب الذي حاق بالمنزل والتغير الذي طرأ على اصحابه وذلك عن طريق وصف المنزل نفسه في لمسات انطباعية سريعة . فقيام الحرب يمنع العائلة من العودة الى المنزل مرة اخرى ، ففي اثناء ذلك تموت مسز رامزي ويموت احد ابنائها في الحرب واحدى بناتها وهي تضع مولودا. اما في الجزء الثالث والاخير « الرحلة الى الفنار » فنرى البقية الباقية من آل رامزي وقد عادوا الى المنزل مرة اخرى بعد عشر سنوات مع بعض ضيوفهم القدامى ، ثم تنتهي القصة « وللي بريسكو » ـ وهي واحدة من الضيوف الذين قدموا الى المنزل في المرتين ـ تستكمل رسم لوحة كانت قد بدأتها عند زيارتها الاولى ، وهي تكمل هذه اللوحة في

ضوء الرؤيا التي تأتي اليها اخيرا والتي تمكنها من ان ترى ـ في لحظة قصيرة ـ مغزى العلاقة بين مسز رامزي الراحلة وعائلة ال رامزي وبين المنظر الطبيعي الذي يمتد امامها . وفي الجزء الاخير ايضا نرى مستر رامزي يقوم مع اثنين من اولاده برحلة الى الفنار في قارب صغير، وكانوا قد عقدوا النية على القيام بهذه الرحلة في الجزء الاول من القصة ولكنهم اضطروا الى تأجيلها لسوء الاحوال الجوية . ويصل الثلاثة الى الفنار في نفس الوقت الذي تستقبل فيه وللي بريسكو الرؤيا وتستكمل لوحتها .

وفيرجينيا وولف تستخدم في هذه القصة فكرة الاعداد للرحلة الى الفنار في الجزء الاول ثم القيام بها في الجزء الثالث كوسيلة للربط بين اجزاء القصة وهي لا تكتفي بتصوير العلاقة بين افراد عائلة مستر رامزي بل تتعدى ذلك الى محاولة الايحاء ببعض الافكار العميقة عن طبيعة التجربة وارتباطها بالزمن والشخصية والكاتبة هنا تقدم الينا عددا محدودا من الشخصيات تنتقل من وجدان شخصية الى اخرى وتكشف لنا عن مدى تفاعلهم مع الاحداث وفي نفس الوقت تتابعهم في تأملاتهم. على ان معالجتها للرواية ابرع بكثير مما يستطيع هذا الملخص ان يوحي به وهي ترسم شخصياتها وعلاقة كل منهم بالاخر في مهارة فائقة وتخرج من كل هذا بنمط رمزي محدد. وشخصيات القصة هم مستر رامزي استاذ الفلسفة الذي يكرر نفسه دائما وهو عاجز عن ان يفهم المغزى الحقيقي للتعاليم التي يبشر بها ، وزوجته مسز رامزي التي تفهم الحياة دون حاجة لتعاليم زوجها وتسيطر على العائلة، وليلي بريسكو احدى الضيوف وهي ترفض ان تتزوج وتحاول البحث عن الحقيقة والتعبير عنها من خلال الشكل والالوان وتشارلز تانسلي وهو فيلسوف صغير يعاني من الشعور بالنقص ثم بعض الشخصيات الاخرى ، ولكل شخصية دور مرسوم ومحدد في القصة. ثم هناك الفنار الذي يقف وحيدا في منتصف البحر وهو رمز للفرد باعتباره كائنا متميزا في حد ذاته وجزءا من تيار التاريخ في نفس الوقت . ومحاولة الوصول الى الفنار ليست سوى محاولة الفرد ان يتصل بالحقيقة خارج نفسه ان يتخلى عن ذاته ويستسلم لحقيقة خارجية والقارىء يرى كيف ان مستر رامزي استطاع اخيرا ان يتحرر من نفسه وهو الرجل الاناني الذي يبحث دائما عن اعجاب الاخرين وهو يتخلص من انانيته لاول مرة قبل ان يصل القارب الذي يقله هو وابنه جيمس وابنته كام الى الفنار فتنطلق منه صيحة اعجاب بطريقة ابنه في توجيه دفة القارب وهكذا يتضح الرمز في القصة اذ ان الرحلة الى الفنار ما هي الا الرحلة من داخل الذات الى خارجها.

ويبدو اهتمام الكاتبة بالعلاقة بين الوقت والشخصية وبين التطور والموت واضحا في معالجتها لشخصية مسز رامزي ، فهي تقدم لنا مسز رامزي اثناء حياتها في الجزء الاول من القصة وتسجل موتها ضمن سردها للجزء الثاني على ان هذه الشخصية تتصلت على الرواية بأكملها فهي تعيش في ذاكرة الاخرين حتى بعد موتها . لقد اصبحت مسز رامزي جزءا من التاريخ تحتوي الحاضر وتكيفه حتى ان ليلي بريسكو تتخيل انها رأت مسز رامزي في اللحظة التي تستقبل فيها الرؤيا.

وفي عام ١٩٢٨ نشرت الكاتبة روايتها « اورلاندو » وهي عبارة عن السجل لتاريخ حياة احدى صديقاتها. وهي ليست رواية بالمعنى المفهوم بل سيرة فلسفية لحياة شخص رمزي وتطوره الفكري تمتد من اول العصر الاليزابيثي حتى السنة التي نشر فيها الكتاب.

وتلت هذا الكتاب روايتين هما «الامواج» و «السنين»

وفي خريف عام ١٩٤١ وبعد موت فيرجينيا وولف بشهور قلائل ظهرت اخر رواية لها « بين الفصول » وهي تحاول في هذه الرواية ان تصور الحياة الانجليزية وتطور الحضارة في انجلترا عبر قرون التاريخ حتى وصلت الى ما هي عليه في العصر الحديث كل ذلك في قالب رمزي. ويتبين من هذه الرواية ان فكرة ارتباط الزمن والتطور بالشخصية والتجربة لا زالت تشغل ذهن الكاتبة الا انها تطبقها على البيئة الانجليزية في هذه المرة . فالكتاب عبارة عن مأساة شعرية تقوم فيها انجلترا بدور البطولة. والمنظر يختلف ايضا فمسرح القصة هو قرية في الريف الانجليزي حيث يبدو التاريخ اكثر رسوخا .

ويدور الحدث في القصة حول المهرجان السنوي للقرية الذي ينتظم في شكل مجموعة من المناظر التمثيلية تعبر عن تطور الحضارة الانجليزية منذ بداية التاريخ الى العصر الاليزابيثي ثم العصر الفكتوري حتى شهر يونيه عام ١٩٣٩ ويتمثل العصر الحديث في مجموعة من المرايا توضع على المسرح حتى يرى المتفرجون انفسهم وهكذا تلتقي القرون وتتحد مراحل التاريخ لتصور لنا كيف ان الواقع ما هو الا التغيير والوحدة هي التنوع . بيد ان فيرجينيا وولف توحي بان هذا الواقع بالنسبة لانجلترا واقع تراجيدي وربما يرجع السبب في ذلك لان فيرجينيا وولف بدأت كتابة روايتها هذه «في شبح الحرب» وانتهت منها والحرب على اشدها .

وكان موت فيرجينيا وولف المفاجيء في مارس عام ١٩٤١ صدمة للرأي العام في انجلترا . فقد عاشت حياتها في خوف دائم من ان تسقط فريسة للجنون ، اذ كانت تنتابها احيانا حالات من الكآبة والقنوط تهدد بانهيار قواها العقلية وقد سبق ان اصابتها احدى النوبات وكادت ان تذهب بعقلها فعلا وكان ذلك قبيل الحرب العالمية الاولى بقليل ـ وظلت فيرجينيا وولف تقاوم هذه النوبات حتى عام ١٩٤١ م وكانت قد انتهت من روايتها الاخيرة واصبحت منهوكة القوى بسبب الارهاق في العمل والخوف الدائم الذي كانت تعيش فيه بالاضافة الى التوتر العصبي الذي اصابها من جراء الحرب فخرجت ذات صباح متجهة صوب شاطىء النهر كعادتها .

وحين خرج زوجها واختها للبحث عنها ، لم يجدا سوى عصاها ملقاة على الشاطىء ...

**أيمن الامير**


**مكتبة روكسي**

**اطلبوا منها الاداب كل اول شهر**

**مع منشورات دار الاداب**

**اول طريق الشام**

**صاحبها : حسن شعيب**